

# الأدب والتجربة الفيتنامية

بقلم صبري حافظ

احساسنا بقضايا مصر ومشاكلها ويتخلق من خلال مرشح صاغته ثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا . ومن هنا فاننا قد نعجب في التجربة الفيتنامية بأشياء غير التي تلت نظر الاوروبي او الاسيوي ، ويزداد تركيزنا على جزئيات تنطوي في الواقع على تناول ضمنى لبعض هومونا وقضايانا . ولا يعني هذا الا يوجد جوهر اساسي للتجربة الفيتنامية يمكن ان تستخلصه شتى الشعوب ، فهذا الجوهر موجود بالفعل ، وهو اضافة التجربة الفيتنامية الى ضميرنا وعصرنا والى القضية الانسانية بشكل عام . ولكن الذي يعنيه ان طريقة وصولنا الى هذا الجوهر وطبيعة احتفاننا بجزئيات معينة في التجربة خلال عملية الاستقراء او التحليل ستحمل بصماتنا الخاصة وستنطوي على رؤيتنا الخاصة لهذا الجوهر الانساني انعام الذي سيبرزه الجمع وهم يتناولون هذه التجربة الثورية والانسانية .

ولا يمكن لهذه الدراسة ان تستوعب كل ما يستطيع الناقد الادبي ان يستخلصه من عطاء هذه التجربة الانسانية الكبيرة ، لان هناك عشرات من الموضوعات يستطيع الناقد الادبي ان يدرجها في ضوء هذه التجربة ، ولان النصوص والواد التي ابدتها الشعب الفيتنامي المقاتل ابان مسيرته النضالية الطويلة والمتشعبة لم يتوفر لها بعد من يجمعها ويعلق عليها ويربط بين الطريقة التي كتبت بها هذه النصوص والظروف التي كتبت فيها ومارست عبرها دورها . وكل ما تحت ايدينا منها الان مجموعة شحيحة من القصائد والاقاصيص . فطبيعة التجربة الفيتنامية انعكست بشكل واضح على عطاءها الادبي ، الذي كان ينتج ابان المعارك وتحت قصف المدافع واثناء انهمار القنابل او بين جدران الزنازين في سجون الحكومة العميلة او في معسكرات التعذيب الامريكية . وكان يمارس فعاليته في العقول التي تتخاطفه على عجل وسط المعارك او التي تتخلق حول مؤلفه وهو يقرأ نسخه الوحيدة في خندق ، او التي تشهد عرضا فوريا له في لحظات النقاط الانفاس بين طلعات طيران اليانكي المتعاقبة ، او التي تتبادل نسخة مخطوطة منه من فوق هامات الاشجار السامقة او عبر الاحراش الكثيفة ، او التي تتناقل كلماته همسا داخل الزنازين وفي المرات الضيقة الموصلة بينها . فالشعب الذي يطعم في معظم الاقاصيص التي قرأها ارضا بدون ملح وتصبح ذرات الملح عنده شيئا عزيزا ونادرا يستحلب بمتعة فانقة تحت اللسان حينما يتاح منه نزر يسير ، لا يستطيع ان يوفر المطابع للكتب او الاوراق للصحف . ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع ان يستغنى عن الكلمات . فكل معاني الخير والشرف مجموعة من الكلمات وكل قيم الثورة والوطنية والفداء مصبوغة في كلمات ..

يوشك صوت المدافع ان يصمت في فيتنام ، بعد ان تضجت على نيرانها الطويلة الضارية نمار النصر العزيزة النال . وتوشك قوى العدوان الامريكية ان ترحل مثخنة بالجراح والهزائم ، بعد ان ظلت تكابر طوال سنوات وسنوات متوهمة ان امكانياتها الضخمة وعنادها الحربي الحديث يستطيع ان يهزم الارادة الصلبة للشعب المشوق للحرية في فيتنام .. وها هو الحوار الدامي بين الكابرة والصمود يوشك ان ينتهي بتسليم الكابرة الامريكية الرعناء بكل مطالب الصمود الفيتنامي الهادئ الصبور .. ولا تنفذ الكابرة مياه وجهها المراقبة بغير التمسك باطلاق سراح اصابعها التي حاولت ان تخمش وجه فيتنام فوقعت في الاسر هناك ، جنودا وطيارين . ويوافق الشعب الصبور على هذا المطلب الانساني لان الانسانية عنده لا تتجزأ ، حتى ولو كان يتعامل مع من لا يعرفون شيئا عن هذه اللغة ولا يفهمونها . فقد قبل الشعب الفيتنامي ان يتعامل مع الفطرسة الامريكية باللغة الوحيدة التي تفهمها .. لغة القوة .. وها هي امريكا تحاول فسي اتفاقية السلام ان تتعلم شيئا من لغة هذا الشعب الذي لحن عصرنا درسا رائعا في الصلابة والصمود ، واكد بتضحياته النبيلة ان الحق لا بد وان ينتصر ولو وفقت في وجهه صلافة « اقوى » دولة فسي العالم كما يحلو للبعض ان يسميها . ها هي امريكا تحاول ان تتعلم شيئا من لغة القيم الانسانية والسلام ، ولعلها تضيف الى درس كوريا درسا جديدا فتثوب الى رشدها وتعديل من قيمها الشوهاء .

وعندما توشك نمار النصر الناضجة على التساقط في ايدي المقاتلين معلنة عن اكتمال التجربة النضالية وتحقيقها ، يبدأ الدارسون في استقصاء ابعاد التجربة والخروج منها بيزاد من المعرفة الانسانية والخبرات النضالية في شتى المجالات . واذا ما كان هناك من يعيش ظروفا كظروفنا ويعاني من صلافة صهيونية تربت في فيء الفطرسة الامريكية ، فان حاجته الى دراسة مختلف ابعاد التجربة الفيتنامية العظيمة تزداد عمقا والحاحا ، لانها هنا لا تصبح نوعا من الدراسات الترفية او المجردة ، ولكنها تصبح جزءا من مشاركة المثقف الوطني في معركة بلاده الدائرة ، ونوعا من تحقيق فعاليته بالاسهام في استقراء تجارب الاخرين من خلال اكتوائه بتجربة وطنه . لان المثقف الوطني يتعرف على الثقافات الاخرى والتجارب الاجتماعية والحضارية والنضالية الاخرى عبر ( مرشح ) من ثقافته هو وخبراته هو، متمتجة بالطبع او بالاحرى مندمغة في ثقافة بلاده وتاريخها وحضارتها . ومن هنا فان استقراءنا للتجربة الفيتنامية العظيمة مهمسا اتسم بالحياد والموضوعية لا يمكن الا ان يكون استقراء مصريا لانه يمر عبر

وعندما ننظر الى هذا الانتاج الادبي سنجد ان التجربة الفيتنامية قد طرحت حصادها الادبي في لغتين مختلفتين .. لفظة الشعب الفيتنامي الذي كان يبدع الكلمة في ساحة القتال .. ولغة المستعمر الامريكى الذي استيقظ جزء من ضميره واخذ يقوم بتقريب عياف اللذات الامريكىة المنفوسة في حماة العدوان . فقد اقلحت التجربة الفيتنامية وهذه احدى اضافاتها الباهرة ، في استقطاب جناح واسع من الراي العام الامريكى نفسه لصالحها . ولما استطاع هذا الجناح ان يشكل تيارا فكريا حيا داخل المجتمع الامريكى تمكن من طرح نفسه عبر العديد من الاعمال الفنية الامريكىة المليئة بالاحتجاج على العدوان الامريكى في فيتنام ، الداعية الى التمرد ضد السلطة العسكرية التي تصحى بزهرة شباب المجتمع الامريكى على مذبح شهواتها الاستعمارية وغرستها العدوانية . وسوف نبدأ دراستنا بالاعمال التي ابدعها الشعب الفيتنامي ابان نضاله اطويل ضد المستعمر الامريكى، وسنقابل في بعض الاحيان بين هذا الابداع الحقيقي والكتابات الزائفة التي تتم في المناطق الخاضعة للنفوذ الاستعماري والعميل . لنكتشف مدى اصالة الاول على ضوء زيف الثانية وافتعالها ، ثم نترتب بعد ذلك قليلا ازاء بعض نماذج الشعر الامريكى وحده في تسجيله لوقف الضمير الامريكى الحي من هذا العدوان البشع . وسنكتفى بالشعر وحده لان تتبع انعكاس القضية الفيتنامية على مختلف فنون الادب الامريكى يحتاج الى دراسة ضافية ومستقلة .

وحيثما ننظر في الانتاج الذي اتبع لنا من الادب الفيتنامي، وهو ديوانان من الشعر ومجموعة من القصص والنداءات والدراسات والقصائد المفردة ، سنجد ان طبيعة الظروف التي ابدع فيها هذا الانتاج الادبي قد تركت بصماتها بوضوح على شكله ومحتواه . فها هي اشكال جديدة من التعبير الادبي تظهر وسط المقاتلين في المعارك وتمارس بينهم فعالية كبيرة ، انها النداءات والبيانات والخطب الجنائزية التي تطورت الى نوع شديد الخصوصية من الصور الادبية ، والتي اخذت تسري بين المقاتلين بسرعة سريان النار في هشيم جاف .. مؤكدة ان الطابع الاجتماعي للادب والوظيفة الانسانية له تجعله يتشكل في كل منطقة بالصورة التي يصبح معها اكثر فعالية في الواقع الذي يصدر عنه . كما تؤكد في الوقت نفسه الطبيعة الجدلية له . فقد تركت الوسيلة التي ينتقل عبرها الادب بصماتها على شكل هذا الادب واسلوبه .. انه ادب يكتب ليحفظ لا ليقرأ .. ليمنح المثل والاسوة وليحث المقاتلين على مواصلة القتال .. لم يكتب لتسليمة التخمين ولا لهدنة اللولين ، ولكنه يكتب ليشد آزر الجرحين ، وليعوض الثكالى عن فقدان ابنائهم والارامل الايامي عن فقدان أزواجهم واليتامى عن ضياع آباءهم .. انه يكتب ليدفع كل واحد من هؤلاء المحزونين الى كفكفة دموعه والامساك ببندقيته والخروج لمواصلة مسيرة الابن الذي استشهد او الاب الذي اسر او الزوج الذي صرخته القنابل .

في هذا الواقع ، وامام هذه الوظيفة العاجلة للادب ، اصبحت البيانات والنداءات والخطب الجنائزية ويوميات المسجونين اجناسا ادبية لها قواعدها وملامحها الخاصة التي يمكن استقراؤها من مجموعة كبيرة من هذه النصوص . وقد يبادر البعض بالقول بان البيانات والنداءات والخطب الجنائزية اشكال من الكتابة تعرفها كل الشعوب ابان معاركها ولكنها ليست اجناسا ادبية باي حال من الاحوال . لكن ما حدث في فيتنام شيء جد مختلف . فمذ الهجوم الاول للزوارق المقلدة للفرنسيين على جبانده (سايجون الآن ) في عام ١٨٥٩ وهزيمة الجيش الملكي الفيتنامي في هذا الهجوم ، ثم اعتراف الملك ومعه كبار رجاله بلاط هيو بالهزيمة بعد سقوط الاقاليم الشرقية الثلاثة لنابمو ، وقبوله للسلام الذي عرف بماهدة ١٨٦٢ مع الفرنسيين - منذ ذلك التاريخ الذي يمتد في ضمير الزمن اكثر من قرن كامل، والشعب الفيتنامي يخوض ملحمة من المقاومة المستمرة للعدوان طولها

وما لا يستطيع الامريكى ان يحصل عليه من هذا الشعب الصامد يترجم في النهاية الى مجموعة من الكلمات .. ولكنها كلمات كذلك التي سقطت من اجلها عشرات الشهداء على مر التاريخ الانساني، سبارتاكوس وتوماس مور وعلي بن محمد وتوماس بيكيت واحمد بن حنبل والحلاج وغيرهم .. فتكتسب بتضحياتهم الكلمات معانيها ، وطاقتها على مساعدة الانسان في معركة المصير . ان هذه الكلمات المضمخة بالضحيات العابقة برائحة الصلابة والفداء هي اشد الكلمات ضرورة لكي يحتمل الانسان هذه الحياة ، ولكي يطبق الاستمرار فيها برغم الشروط المحدقة بها من كل صوب . ومن هنا احس الشعب الفيتنامي بضرورة ان يصوغ هذه الكلمات المضمخة بالضحيات الطالعة من بوتقة المعاناة والمجالة الممددة بالدم في شرانق النار .. وصاغ منها بالفعل الشيء الكثير .. ولكن ما اتبع لنا منها اقل من القليل .. ومع هذا فان القضايا التي يطرحها هذا الكم القليل من الاعمال الفنية اكبر من ان تستوعبها هذه الدراسة . انها تطرح الكثير من الافكار على صعيد التجربة الجمالية التي استطاعت ان تخلق عبر خشونة النصوص وعريها من الجمال وتوهجها بالحرارة نوعا فريدا من الجماليات الجديدة . وتطرح الكثير على كل صعيد اخر .. على صعيد المحتوى الفكري والثوري لهذه التجربة النضالية وعلى صعيد الاجناس الادبية وحتى على صعيد الدراسات اللغوية .

ان دراسة المفردات التي تعلمها الشعب الفيتنامي من لفظة العدو الامريكى ومقابلتها بالمفردات التي تعلمها الاسرى الامريكىون من لفظة الشعب الفيتنامي تكشف لنا عن طبيعة العرس الذي لقنه كل منهما للاخر . وتنطوي المفارقة الحادة بين نوعية حدة المفردات وتلك على الكثير من الحقائق التي صاغتها هذه التجربة الفيتنامية الرائعة .. ولقد استطاع الفيلم التسجيلي الدهش ( طيارون بالبيجاما ) الذي صورته بعثة تليفزيون المانيا الشرقية في معسكرات الاسرى الامريكىين بفيتنام الشمالية ان يكشف عن هذا التناقض ببراعة واقتدار .. لقد تعلم الفيتنامي العادي من اللغة الانجليزية كلمات قلائل .. استسلم .. ارفع يديك .. لا تقاوم والاقتلتك . الق اسلحتك وسر امامي فانت اسير .. اما الامريكى فقد احتاج الى مفردات من نوع اخر .. من لفظة الشعب الذي ذهب ليهتك حرمة ارضه وليسلبه الامن والحرية .. تعلم من لفته كلمات من نوع جد مختلف .. اريد طعاما .. اريد شرابا .. اريد صابونا لاستحم .. ماء لافس ملابسي .. احتساج ورقا لكتابة الرسائل للذي ، اريد فرشاة لاسناني .. ابصرة لترتيق ملابسي .. احب ان اخرج للتنزه قليلا .. وعشرات من هذه المفردات التوهجة بالحياة العامرة بالسلام .. ان المستعمر الامريكى يفرض حتى على الشعب المسالم مفردات الحرب والسلاح والاسر .. اما الشعب الفيتنامي فقد علم المستعمر لفة الحياة بضرورتها الحيوية ولذاذاتها وجزئياتها البسيطة . ان التعمق في مثل هذه الدراسة اللغوية تكشف لنا عن بعد فريد في هذه التجربة الثورية . لان اللغة هنا بطبيعتها الاجتماعية هي الوعاء الذي يحتوي الكثير من المضامين الفكرية والسياسية لهذه التجربة الفريدة .

واذا كنا لا نستطيع القيام هنا بهذه الدراسة اللغوية ، فاننا سنكتفي ببعض الملاحظات عن الادب وبعض الاستقصاءات القليلة حول عدد من القضايا التي يطرحها . ومن البداية سنجد اللحن الاساسي في كل الادب الفيتنامي هو المقاومة ، بصورة لا نعثر معها على عمل في جدير بهذا الاسم لا تكون المقاومة هي موضوعه الرئيسي . وليس هذا بغريب على بلد كانت المقاومة طوال احد عشر عقدا من الزمان زاداها اليومي . ومن هنا فانه ليس هناك ادب مقاوم وادب غير مقاوم في الادب الفيتنامي . لان كل ادب فيتنامي ادب مقاوم ، فليس ثمة انفصال بين المقاومة واي نشاط فكري اخر في فيتنام ، كما انه ليس ثمة انفصال بين المقاومة واي نشاط انساني في هذا البلد العظيم .

احد عشر عقدا من الزمان ، وعرضها بطول الشريط الجغرافي الطويل الذي يشكل الوطن الفيتنامي بشرطيه الشمالي والجنوبي .. خلال هذه الملحمة النضالية الطويلة اخذت النداءات التي تحت الشعب على المقاومة تتحول الى جنس فني يقترب كثيرا من جوهر الشعر . وخرج النداء الاول من قصر الملك الذي وقع معاهدة الاستسلام عام ١٨٦٢ ، حينما حرض ترونج دنه رئيس الديوان الملكي الشعب على عصيان الملك وقاد حركة التمرد ضد الاعداء . واصدر نداءه الاول الذي حدد الطبيعة الشعرية لهذه النداءات ووضعها على بداية الطريق الذي تحولت معه الى جنس ادبي ... استمع الى بعض ابيسات من هذا النداء الشعري ..

لكل الانهار منابعها ولكل الاشجار جذورها

وكل انسان يولد بجسمه واطرافه

فلماذا نملك اذاننا ولا نسمع ، وعيوننا ولا نرى ؟

اين اجدادنا ؟ اين قبور اسلافنا ؟

لماذا نملك قلوبا لا تصي ، وعواطف لا تعاني ؟

ارضنا اغتصبت وشعبنا عذب (١)

ثم يمضي بهذا الاسلوب الشعري يعرض للتبدلات التي انتابت الحياة خلال السنوات الثلاث التي مضت منذ دنس الفرنسيون ارض جيانده ، مصورا الحياة وكأنها هي التي تستمرخ الفيتناميين كي يهبوا للمقاومة ، وفي النهاية يختم نداءه الاول ذاك قائلا :

لا احد يستطيع ان يتعدى الموت

ولكن الموت من اجل ابناء مجيد

كل انسان يود قطعا ان يعيش

فلنمش برفع راية المقاومة عاليا . (٢)

وتستمر نغمة هذه النداءات في التصاعد .. لا يفت عضدها سقوط اقليم وراء اقليم في ايدي الفرنسيين ، ولا تنال من شاعريتها كثرة المعلومات التي تنقلها الى المواطنين .. استمع الى بعض سطور هذا النداء الذي وجهه ترونج دنه بعد سقوط تان هوا ( ١٨٦٢ ) التي كانت مركزا لقيادته ومواصلته للمقاومة من الفايات ..

« ايها القاتلون : ان معاهدة السلام التي وقعها البلاط لسن تضعف حقدكم على العدو . ان تسليم الاقاليم الثلاثة لسن يحميكم عن القتال . ايها القرويون : عظيمة هي عطايا ارضنا ، فلا تنسوا واجبكم كمواطنين . تبادلوا العون والحماية ، ولا تمنحوا اذانكم للكلمات العدو . ان سقوط جوتنج لن يفريكم بالارتداد . واخلاء بن نفى لن يفريكم بالركوع تحت اقدام البرابرة . كم هو عظيم حقدنا ! لنشار ونقاوم مهما كلفنا ذلك من ثمن ... اي ثبات لاهدافنا . لسن نسلم نفوسنا للهجران .. الحياة في شرف والموت في شرف ، دعونا نعيش ونموت بشرف وطننا .. ربما كنتم افضل المثقفين وتتسوقعون ان تكونوا من رؤساء المراكز او المقاطعات . انكم لن تصبحوا الا نفاية ... لا تتلدروا بانكم من العامة المستبدلين ، اذا وافقتم على العمل خدما واجراء . انكم لن تحنوا الا على انفسكم » (٣)

من هذا النص نتعرف على بعض ملامح هذه النداءات وهي لما تزل في بداياتها الاولى . انها ليست تلك النداءات التي تصدر عن منظمات التحرير او المقاومة كما عرفتها الشعوب الاخرى . ولكنها شكل من اشكال الكتابة يقف في منتصف الطريق بين هذه النداءات المعروفة والقصائد النضالية الحماسية . فيها المعلومات والحقائق التي ينطوي عليها النداء . وفيها الاتجاه الذي يريد ان يحث المواطنين

(١) النص من كتاب ( ادب المقاومة في فيتنام ) وهو ترجمة للمعد رقم ١٤ من سلسلة دراسات فيتنامية التي تصدرها جبهة التحرير الفيتنامية ونشرته وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٩ ، ص ٤٥ و ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ .

على المضي فيه . ولكن فيها الى جانب ذلك تلك النغمة الشعرية التي تجعل النداء قابلا للحفظ والتداول ، والتي ترتفع باتجاه النضال فيه الى مرتبة الحقائق الطبيعية والتاريخية .. واستمرت هذه النداءات في التطور والاقتراب اكثر من منطقة الشعر حينما بدأ قادة المقاومة يهبون الى الشعراء والادباء بكتابتها ، وبكتابة البيانات التي تعقب المعارك والخطب الجنازية التي كانت تلقى على شرف الذين ماتوا من اجل الوطن . وفي المرحلة الاولى - في العقد السابع الى التاسع من القرن الماضي - برز الشاعر الضريع نجوين دنه شيو ( ١٨٢٢ - ١٨٨٢ ) كواحد من الرواد الذين ارسوا قواعد هذه الاشكال الجديدة من الكتابة . ومن يقرأ هذا المقطع من احدى خطبه الجنازية يدرك ان ما نعينه بالخطب الجنازية كشكل ادبي يختلف اختلافا كبيرا عن الخطب التقليدية التي تلقى في حفلات التأيين الرسمية .. يقول نجوين دنه شيو ..

« ما كانوا جنودا هؤلاء الذين اشعلوا الحرب ضد الاحتلال وانما كانوا قرويين بسطاء . ومن اجل حبههم لارض آباؤهم تطوعوا للقتال . انهم لم ينتظروا حتى يتم تدريبهم واكتسبوا مهارات ثماني عشرة موقعة .. ولم يسألوا عما ينبغي عليهم ان يتعلموه في تسعين موقعة . واتخذوا قطعا من قماش خشن لبصنوا منها ملابس للحرب . ولم يسألوا عن حقائق القذائف او قوارير المسحوق لانهم اکتفوا بحراب من البامبو الهندي . ولم يسألوا عن خناجر المركبة ولا عن خوذات القتال .. وضباطهم ما كانوا يأمرون بقرع طبول الحرب استعدادا للهجوم على العدو . بانفسهم اخترقوا الاسوار واندفعوا نحو قلاع العدو . وكان العدو غير موجود هناك . لا يخافون قذائف المدافع ولا الرصاص . واخترقوا البوابات واقتحموا مواقع العدو مخاطرين بحياتهم » (٤)

في هذا المقطع ترتفع الخطبة الى مستوى العمل الادبي الذي يتخذ من العرض البسيط المباشر سبيلا الى ممارسة فعاليته في الواقع الذي صدر عنه .. ان الاحزان المألوفة على الابطال الذين استشهدوا تتحول هنا الى نوع من التفاؤل الذي يستلهم من اعمال هؤلاء الابطال طريقه الى النضال ، والخطب المنيرة المصماء تتحول هنا الى حديث هادئ عن شجاعة هؤلاء البسطاء الذين اجترحوا المعجزات دونما صخب او ضجيج . والجمال التجريدية في نظائر هذه الخطب في البلدان الاخرى تتحول هنا الى تجسيد حسي يهب الخطبة قدرتها على التأثير ويحيلها الى عمل فني له قواعده واصوله التي تبدأ من الحسي والخاص لتصل الى التجريدي والعام . وقد اخذت هذه الخطب في النمو والتطور حتى اقترنت في المرحلة الاخيرة من ملحمة النضال الفيتنامي - وهي مرحلة النضال ضد المستعمر الامريكى - من جوهر الشعر ، وتالقت فيها مثل البطولة كالمشبه في وجدان الشعب الفيتنامي الذي كان يتلقى الاعمال بشغف ويحفظها عن ظهر قلب ويتداولها في الفابسات والقرى ، الى الحد الذي تحولت فيه بعض نصوصها الى جزء من الموروث الشعبي في بعض المناطق .

استطاعت هذه الفنون الجديدة ، الطالعة من شرتقة المقاومة الفيتنامية ، ان تقوم بدور بارز في اذكاء الروح القومية وفي حث المواطنين على الانخراط في كتائب المقاومة وفي كفكفة احزانهم كلما حاقت بهم الهزائم ، وفي اقتلاع الياس من بين صفوفهم والبقاء على الامل بالنصر متوهجا امام عيونهم .. استطاعت القيام بكل هذا برغم ما اتسمت به من تبسيط او بدائية في بعض الاحيان . كما استطاعت ان تبلور عبر هذا التبسيط وتلك البدائية مجموعة من القيم الجمالية الجديدة . لكنها لم تنفرد باي حال من الاحوال بالساحة الادبية ، بل استطاعت الفنون الاخرى ، الاكثر نضجا وتعقيدا ، مثل الشعر والمسرح والقصة القصيرة والرواية واليوميات ان تقوم بدور كبير في الحركة .

(٤) المرجع السابق ص ٥٠ .

وقد آثرت ان ابدأ بهذا النص للزعيم الفيتنامي العظيم هوشي منه لاؤكد حقيقتين اساسيتين ، اولاهما ان هناك ادبا فيتناميا واحدا لكل من الشمال والجنوب ، وان كانت الظروف قد فرضت نوعا مسن الفرقة المصطنعة بين شطري الوطن الفيتنامي ، هيات بعد كفاح طويل لشر من الارض الفيتنامية ( الشمال ) الحرة ، وما ان شارف الشطر الاخر ( الجنوب ) حرته بعد اندحار الفرنسيين ورحيلهم حتى وقع في برائن استعمار اكثر شراسة وضراوة وهو الاستعمار الامريكى . غير ان المواطن الفيتنامي ظل يحلم في شطري الوطن بالوحدة ويرقد هذا الحلم بالعمل وبالكلمات . وتضامن الشمال مع الجنوب في محنته ويذل له من روحه ومساعداته كل ما في طاقته على العطاء . ومن هنا كانت تلك الوحدة التي لا تنفصم بين ادب الشمال وادب الجنوب تعبيرا عن وحدة الارض الفيتنامية ووحدة مصيرها . اما الحقيقة الثانية فهي الوحدة التي لا تنفصم ايضا بين الكلمة والفعل في التجربة الفيتنامية ، حيث يرافق الايمان بالحرب والمقاومة والتضال ايمان مماثل بالكلمة وبدورها الفعال في المعركة . فها هو هوشي منه الذي قاد كفاح شعبه ضد المستعمر الفرنسي ثم الامريكى من بعده يكتب الشعر مؤمنا بدوره الهام في مسيرة التحرر والوحدة . وتطوي القصيدة القصيرة التي قرانها قبل سطور على هذا الايمان بدور الاشياء التي تبدو للوهلة الاولى وكأنها اشياء تافهة او لا قيمة لها . ان الحجر الصغير الملقى على جانب الطريق وعليه لافتة بالمسافة او الاتجاه له دور وله قيمة . . . . . والاعمال والادوار الكبيرة هي في الواقع مجموعة من هذه الجزئيات المتناهية الصغر . ومن هنا يصبح لكل عمل من اجل الوطن قيمته مهما بدا صغيرا او تافها . . . . . ومن هنا ايضا تحث الكلمات المواطنين على احترام كل عمل اذا ما شرفت غايته ، وعلى تقديس القيام بالسدور الواجب . ذلك لانه ليس ثمة انفصال من اي نوع بين ما يحدث في الواقع وما يدور على ساحة القتال . وكل جزئية تساهم بدورها في هذا الجهاز الذي تعمل كل اجزائه باتساق ووفق نظام شديد البساطة والصرامة في آن ، يكاد لفرط بساطته ودقته ان يرتفع الى مستوى النظام الطبيعي والحقائق الطبيعية .

وايمان الكاتب الفيتنامي بهذا هو الذي يدفعه الى عقد اوئسق العلاقات بين الحقائق وجزئيات الطبيعة ، بالصورة التي تصبح كل منها وجها من وجوه الاخرى . فالاستشهاد من اجل الوطن يتحول في قصيدة جيانج نام ( وطني ) الى عمل مشارك في صياغة العلاقة بين الوطن وبين طبيعة بلاده الساحرة ويرهف احساسه بالوطن والطبيعة والتضال في آن .

لقد اردوك ورموك بعيدا  
لماذا ؟ .. اجابوا : انك فدائية  
يدي الالم قلبي ، انني نصف ميت  
لقد عشقت وطني ذات مرة لطيوره وقراشاته  
وللايام التي امضيتها لعوبا شقيا في حقوله وغاباته  
وانني لاعشقه الان لكل ذرة من تراب الارض  
يتوسدها جزء من جسد ودم الفتاة انني احببتها الى الابد(٧)

ويتحول السجن من اجل الوطن في قصيدة هوشي منه الى غيمة عابرة ، ليعترك في النفس يقينا بعزميته وبانه شيء موقوت لا بد ان ينتهي ، وليخلق التضامن الاخوي فيه في اغوار المناصلين طاقة هائلة على احتمال عذاباته في المناطق التي زرعها المستعمر بالسجون ، وحول بعض جزرها الى مناف :

في السجن ، يستقبل القديم الوافد الجديد  
وفي السماء تمضي القيوم الزرق وراء غيم العاصفة  
وتسري السحب طليقة

(٧) ادب المقاومة في فيتنام ، ص ٧٩

وان تتوادم مع المعطيات الخاصة للتجربة الفيتنامية . وبرغم نضج هذه الفنون وانتماؤها الى الاشكال المعروفة من الكتابة بتقاليد الموروث ، فان الكاتب في فيتنام لا يعرف شيئا اسمه الاحتراف ، بل تصبح الكتابة عنده جزءا من نظام حياته اليومي في معركة النضال ، لا ينظر عنها اجرا او شهرة ولكنه يشهد بعينه فطها في الرفاق وفي الجماهير ، فيتحقق له نوع من الرضا يفوق كل مردود مادي . انه يحقق نفسه عبر هذا التأثير والفعالية على شتى الجبهات . . . . . جبهة القتال وجبهة العمل وجبهة الابداع « فابتداء من اصغر المقاتلين الى الضابط الكبير ، ومن الفدائي الى الكاتب ، لا يتقاضى احدهم اجرا . جميعهم يعيشون بين الجماهير ويشتركون في الانتاج ويشاطرون الشعب افراحه واساه . وكاي انسان آخر يقسم الكاتب والفنان وقته الى ثلاث فترات متساوية : الاولى لحفر الخنادق ، والثانية لانتاج الطعام ، والثالثة لحرفته الخاصة » (٥) ومن هنا فقد تركت هذه الحياة الخصبة للفنان بصماتها على عمله . . . . . فلم يعد عملا عن المقاومة بل اصبح ابداعا طالعا من شرنقة المقاومة نفسها ، متخلفا وسط معمعة الحياة اليومية التي استحال كل ملمح من ملامحها الى شيء بطولي . ففنان المقاومة الفيتنامي ، والحال كذلك ، لا يتطلق من موقف المشاهد بل من منطلق المشارك بكل ما في طاقته على المشاركة في تفاصيل الحيات والوقائع التي يكتب عنها . لذلك كان للفن الذي يكتبه عبر مخالف سنلمسه ونحن نتعرف على ابداعاته .

واذا بدأنا حديثنا عن هذه الفنون بالشعر ، فلانه كان اكثر الفنون تلاما مع طبيعة التجربة الفيتنامية واسرعها استجابة لها لطبيعته البنائية والتداولية . ولان معظم النصوص التي توفرت لنا من ادب التجربة الفيتنامية نصوص شعرية . بعضها كتب داخل جدران السجون وعلى رفاه صغيرة صنعت من شرائح الارز المسلوق حيث الورق ممنوع وحيث يقتطع السجن من زاده الشحيح بعض الارز المطهو يعجنه ويصنع منه رقائق صغيرة يكتب عليها . وبعضها الاخر كتب وسط نيران المعارك وثناء اقتحام معسكرات المستعمر وعلاته وخلال التخفي في الاحراش وبين اشجار الغابات السامقة ، ولذلك فقد تركت هذه الظروف ميسمها بوضوح على شكل هذا الشعر ومحتواه ، فمال الى التركيز والتكثيف الشديدين ، وبعد عن التراكب والتعقيد والفموض ، واقترب من البساطة وهي شيء غير التيسيط ، وقصد مباشرة الى الجوهر في كل شيء فكان نوعا من الشظايا التي تخترق الجلد وتنفذ الى الاعماق . وقد اكسبته هذه البساطة المترنة بالنفاذ طاقة سحرية على الادهاش كتلك التي نثر عليها في السحر البدائي . استمع الى هذه الابيات من هوشي منه وهي تشكل واحدة من فصائده القصار التي صاغ منها ( كتاب السجن ) او يومياته . . . . . وهي بعنوان ( علامة الطريق ) . . . . .

لست ساميا ولا نائيا  
لست ملكا ولا اميرا  
انك مجرد قطعة صغيرة من الحجر  
تجلس على حافة الطريق العريض  
تحدد للبشر الاتجاه الصحيح  
وتجنبهم عثرات الضياع  
وتبنيهم بالمسافة الباقية من رحلتهم  
خدماتك اذن ليست بالشيء الضئيل  
وسيدرك الناس دائما (٦)

(٥) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٦) العدد السابع من مجلة لوتس ( الادب الافريقي الاسيوي ) الطبعة الانجليزية

Ho Chi Minh, prison dairy, Lotus, Afro-Asian Writings, Vol 7, January 1971, Special Section on Vietnam, P. P. 155 . 194.

بينما هناك انسان حر وحيد في زنزانته (٨)

فقد امتلات فينتام الجنوبية بسجون عديدة ، واصبحت اسماء بعض هذه السجون وسمات عار في جبين الانسان ، لما مورس فيها من تعذيب وحشي .. فما ان يذكر اسم ( ب . ٤٢ ) او ( لى فان دويت ) او ( فوى لوى ) او ( بين هوا ) او ( تودوك ) او ( جيايدين ) او ( جزيرة بيولو - كوندور ) حتى نفقز الى الذهن وحشية المستعمر مقترنة بصلاية المناضلين الفيتناميين وبطولتهم . وحتى نتذكر من بين هذه البطولات جميعا قصة نجوين فاي تروى انذي ضرب مع زوجته كويان اروع امثلة البطولة والصمود وتحولت قصة الايام الاخيرة في حياة كويان مع فان تروى والتي ترجمت بعنوان رسائل من جنوب فينتام عن النص الذي كتبه كويان نفسها بعنوان ( الطريق الذي سلكه ) ، الى اسطورة من اساطير الصمود والكفاح في عصرنا . وما زالت الكلمات التي طرقتها كويان على منديل زوجها من احدى القصائد الشمسية تؤكد هذا العناق الاصيل بين الظاهرة الطبيعية والحقيقة الانسانية بصمودها وصلابتها ..

عبر الامواج والرياح والعواصف والانواء  
سيظل قلبي وفيك لك  
رجائي ان تظل في امان  
بمنأى عن الافكار  
حتى تعود في يوم من الايام مع الانتصار  
في جلال ، والمجد يكمل هاماتنا  
وقد توحدت بلادنا . (٩)

وقد ظل هذا الامل في الوحدة حلم شطري فينتام بالدرجة نفسها .. فليس الجنوب الواقع تحت وطأة الاستعمار هو المشوق وحده للوحدة مع الشمال ، ولكن الشمال هو الاخر مشوق لهذه الوحدة بالقدر نفسه . ويعبر الشاعر تران هو تونج في قصيدة ( فراق ) عن هذا الحنين العارم الى الوحدة وعن افتقاد الشمال للنصف الجنوبي من الوطن بالاسلوب نفسه الذي عبرت به كويان عن توق الجنوب للوحدة مع الشمال . ولكن قصيدة تونج تتميز بغزارة استخدامه لعناصر الطبيعة التي يصور هذا الفراق من خلالها وكأنه خلل في نظام طبيعي لا يطبق هذا الانفصال الدامي .. انه يتصورها نوعا من الانشطار في العين الواحدة ، او الانفصال بين حقول الارز العطاش والانهار الواعدة بالري .. او بين الساق والارض التي تدب عليها .

في الليالي التي تطير فيها العاصير ضد اتجاه الريح  
في أزواج مرتفعة في السماء الزرقاء  
لماذا تشبه اجنحتها قلمي وهما تدبان فوق نصف الارض  
في ليالي كثيرة .. كثيرة  
اشعر بان قلبي ينظر  
لانه يفقد نصفه الجنوبي (١٠)

ويتحول هذا التوق الى الوحدة في الاشعار الفيتنامية الى نوع من التفاني في حب الوطن والنضال من اجله . فهذا النضال هو طريق الفيتنامي الى وحدته المتفاعة ، وهو اغنيته الدائمة التي يتغنى عبرها بالارض وبالخصب وبالطبيعة ، ويتبنى فيها رؤى الشعب وصواته واسلوب افصائه بهذه الرؤى . ففي قصيدة ( خضرة ) للشاعر توهو نلمس هذا الحس الشعبي الذي يقترب بالقصيدة من بنیان الشعر الفلكلوري . ولذلك كانت ترجمتها الى الشعر العامي شديدة التواءم مع

(٨) راجع ( من دفتر السجن ) لهوشى منه . ترجمة وصفي البني ، منشورات وزارة الثقافة بمسحق ١٩٦٩ ، ص ٢١ .

(٩) راجع قصة حياة فان تروى ، للكاتب الفيتنامي تران دينه فان ، ترجمة نبيل زكي ، مجلة ( الكاتب ) عدد مايو ١٩٦٦ .  
(10) Tran Hau Thung, Separation, Afro-Asian Writing  
Vol 7, Special Section on Vietnam.

طبيعتها البنائية .

اصبغني لي السترة ، لون مشجر خضرة  
من جديد انا ماشي ، تحت مطره بنشتي  
من جديد يا وليفتي ، اصبغني لي السترة  
السلاح على كتفي ، وانا لابس خضرة  
فيها حب وقدره ، من ايديكي تدفي  
نحت رعد القنابل ، والرصاص التازل  
ليل نهار وبنافضل  
يمكن اصبح ناسي ، كل دا اللي بقاسي  
لما ارجع بكرة ، والتقي بالخضرة  
عند مسقط رأسي (١١)

ان الشعب الفيتنامي يبحث عن السلام والخضرة بين نيران المعارك ، لانه لا يحارب من اجل العدوان كما يفعل عدوه بل يحارب من اجل الخير والحب والحرية ، وهو يعرف ان البنادق ليست طريقة للعباية ولكنها قدر مؤقت فرض عليه ان يجابهه ايحقق لنفسه الامن والسلام .

البنادق والقنابل ليست طريقنا للحياة  
فلم تكن ابدا اصدقاء للحرب  
ولكنهم اقبلوا مسلحين حتى الانسان  
فهل نسلم انفسنا للعبودية ؟ كلا  
دعونا ننهض ، بالبنادق والسكاكين في الايدي  
دعونا نحمي ارضنا وانهارنا واسواقنا  
قساة هم وبرابرة ، ولكنهم ثمننا للدم سيدفعون دما  
واولئك الذين شنوا علينا العدوان  
واولئك الذين يطاون بالافايال مقابر اسلافهم  
انا سنرفع اسلحتنا بصلاية ونظردهم (١٢)

ان الفيتنامي هنا يعي طريقه جيدا ويعرف انه لكي يظفر بالحياة الهائنة التي يشدها عليه ان يواجه عنف المستعمر غير الانساني ، بالصف الثوري الانساني ، وان يواجه معه هؤلاء العملاء الذين يطاون بالافايال الثقيلة مقابر اسلافهم . فقد باعوا انفسهم للمستعمر ولم يابها بالتاريخ النضالي الطويل الذي خاضته بلادهم .

ولا يتيح لنا حجم هذه الدراسة ان نواصل عرض النماذج الشعرية الناضجة من حصاد التجربة الفيتنامية الادبي او التراث عند القضايا الفكرية والفنية التي يشيرها .. فهناك عشرات القصائد لجوقة متعددة الاصوات من الشعراء المجيدين نذكر منهم تي هانه ، اكسوان ديو ، شى لان فيين ، تونج كوك شان ، اكسوان ميين ، آنه هو ، هوانج ترونج تونج ، هوى كان ، كالى هيين ، فان داي ، فيين فونج ، نجوك آنه ، هيئه منج سنج وعشرات غيرهم .. وتكاد هذه القصائد برغم تفردها وجودتها ان تصوغ لنا ديوانا واحدا لشاعر عظيم هو الشعب الفيتنامي ، يؤكد صمود هذا الشعب ازاء العدوان وأمله اليقيني بالنصر واصرارته على تحقيقه برغم مصاعب السجن والتشريد ، وهو موفن بان طريق الحرية صعب تهون في سبيله كل العذابات والتفصحات ، لان الشيء الذي يهدر قيمة الانسان هو حرمانه من حريته ، فحريته هي جوهر انسانيته . ويكشف هذا الشعر عن فهم عميق لان الانسانية لا تتجزأ ، وعن وعي بان اللانسانية هي الاخرى تنحو نحو الشمول في بطشها ، فما ان يتخلى الانسان عن جزء من انسانيته ويعمل ضده حتى تتداعى بقية الاجزاء .. ومن يقرأ قصائد هوشى منه التي يصف فيها حياة السجن ولقاءات المسجونين بلويهم يلمس هذا الوعي الواضح ،

(١١) راجع ( قال التاريخ انا شعري اسود ) ديوان فينتامي ، ترجمة فؤاد حداد ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٦ .  
(١٢) سانه هاي من قصيدة ( اغنية القائلين ) راجع ادب المقاومة في فينتام ص ٨٩ .

لنا تبين القصة الفيتنامية القصيرة بالقياس الى القصص الانساني القصير من حيث النهج فحسب . ولكنها تصور لنا من حيث الموضوع كيف يتحرك هذا الواقع النصالي باناسه ضد الفرائز والمواطف المألوفة ايضا . فالقصة تحكي لنا من خلال الام الفيتنامية ناتي با قصة المقاومة الفيتنامية بأسرها . فبعد ان القى جنود ديم العملاء القبض على زوجها وانقطعت عنها اخباره من عشر سنوات ، قيل انه قتل في ( نامبو ) او في جزيرة الاعتقال الرهيبة ( بولو كوندور ) ، وطنت ابنها الاكبر ( مينه ) على السير على نهج ابيه الذي كان من الرواد الأوائل في حركة المقاومة . ثم جاء الدور على ابنها الاصفر ليهجر مدرسته وهو لما يزل في ميعة الصبا ويلتحق بشبيبة المقاومة فسوف يكون امامه الوقت واسما لمواصلة الدرس بعد التحرير . وحينما يخبرها الابن الاصفر ( تو ) انه قبل في الشبيبة الثورية تتجه كثيرا لهذا الخبر ، لكنها منا تلبث ان تبثس حينما يبلفها خبر مصرع ابنها الاكبر بعد ان ابلى بلاد حسنا اثناء غارة جوية على موقعه ، ولكنها لا تستطيع ان تبكيه او تعرخ من اجله والا اكتشف العملاء انتماءها لفيالق التحرير . ان ابنتها الصغرى ( ماي ) تنصحها بان تكف عن البكاء وتوكل ذلك الى ما بعد التحرير .. ويذهب الصغير ( تو ) الى جيش الثوار وتلحق به الصغيرة ( ماي ) وتحاول الام ان تمسك هي الاخرى السلاح لتدافع عن ابائها وعن الوطن معهم .. ولتبار للزوج المفقود والابن الشهيد ... ان الام هنا تتصرف ضد غريزة الامومة التقليدية في الظاهر . انها تهيبه ابناءها للانخراط في فيالق المقاومة ولا تضن بهم على الوطن . ولكنها تكشف في الواقع وبانخراطها معهم في جيش التحرير عن وعي عميق بامومتها . فالامومة هي التي ابعدها عن ساحة القتال لتربي ابناءها .. وما ان اشتد عود الابناء حتى كانت الامومة ايضا هي التي تدفعها الى اللحاق بهم والوقوف بجوارهم تدافع بهم ومعهم عن الوطن وتشارك في صنع الغد الذي يهيء لهم الاستمتاع بحياتهم في امن وسلام .

اما في قصة نجوين ترنج تان ( غابة اكسانو ) ( ١٥ ) فانها تقدم لنا صورة للحياة التي ربما يكون قد عاشها زوج ( تانتي با ) او ابنتها الاكبر الذي استشهد خلال احدى غارات اليانتي .. انها تقدم لنا حياة المقاتل الفيتنامي المليئة بالسالة والخشونة ، والتي ترافدها عشرات الذكريات الانسانية الاليمة .. ذكريات الرفاق الذين تساقطوا على الطريق والحبيبة التي انتهكها العملاء او عذبا الاعداء والابناء الذين لم يتحملوا شظف العيش في هذه الظروف القاسية .. لكن الذكريات كلها ليست من هذا النوع الاليم والا لفرست الياس في النفوس .. فهناك ايضا ذكريات الساعات الحلو وسط غابة الاسانو الجميلة ، ولحظات الحب المشبعة بالحنان ، ومشاعر الاكبار التي يحظى بها المقاتل من ابناء قريته ، وكل الاشياء التي تجعل الوطن في اغوار المقاتل شيئا غاليا وعزيزا وتدفعه الى بذل التضحيات من اجله والى الاستماتة في الدفاع عنه . والقصة تقدم لنا كل هذا من خلال زيارة بطلها ( تو ) لقريته في اجازة قصيرة من جيش التحرير . وتبدو هذه الزيارة بكل ما احاط بها من احتفال بهيج ومشاعر دافئة وكأنها طقس مقدس يؤدي لهؤلاء الذين يوفرون السلام للبسطاء والامن للاطفال ، فيزيدهم احساسا بمسئوليتهم وشعورا بانتمائهم الى هذا العالم العامر بالمشاعر الاخوية والذكريات البهيجة والاليمة معا . ومن هنا فان المقاتل يخوض من اجل هذا العالم تجربة حياة كاملة .. يجتري عبرها اعصى المستحيلات .. يتعلم القراءة والكتابة ، ويحفر الخنادق ، ويدرب الصغار على القتال ، ويقوم بالمهام التي توكل اليه ، ويعمل في انتاج الطعام ، ويجمع بقايا حطام اساحة العدو ليستفيد منها ، ويقوم بعشرات الاعمال في وقت واحد . والقصة تقدم لنا هذه الحياة الحافلة بالحياة في تجسدها وتوجهها ، في ماضيها وحاضرها وصيرورتها معا .

( ١٥ ) راجع « ادب المقاومة في فيتنام » من ص ٩٩-١٢٨ .

ويدرك من خلال ( يوميات السجن ) وغيرها من قصائد الشعراء الفيتناميين ايمان الشخصية الفيتنامية بحتمية ميلاد الشمس بعد هذه الظلمة الراضحة ، وتقديسها للعمل باعتباره الطريق الوحيد الى تحقيق كل احلامها في الامن والسلم والحرية ، ونفورها من ادب الكوف على الذات واجترار الهوم الفردية لان عدو الشخصية الفيتنامية عدو خارجي شديد الوضوح ، ولانها شخصية محاربة لا تتخلى عن مواجهة كل الصعاب ولا تياس . ولهذا فانها لا تهن كلما تزايد الضغط عليها بل نعش لديها على نوع من الاستجابات العكسية تؤدي فيها شدة العنف الى مزيد من البسالة والصمود .

وتضخ هذه الاستجابات العكسية اذا ما تناولنا بعض افاصيص التجربة الفيتنامية ، لان امكانيات القصة الدرامية تستطيع ان تنقل لنا تفاصيل هذه العملية المعقدة بين التحدي الطائش والاستجابة العكسية له .. صحيح ان هناك في بعض القصائد صورا من هذه الاستجابات التي تتحرك عبرها الشخصيات من اللافهم الى الوعي ومن التخلل من المسئولية الى تقدير المسئولية . لكن القصة القصيرة اقدر من القصيدة القصصية او الدرامية في تجسيد هذه التحولات ، وفي تصوير العلاقة الجدلية بين العنف الاستعماري المتصاعد الراضب في اخضاع الشعب لحصول استسلامه ، والاستجابات التي تأتي بعكس ما يستهدفه هذا العنف ، صمودا وبسالة وكفاحا . ومن البداية سنجد ان الافاصيص الفيتنامية تشذ عن التصور الذي قدمه فرانك اوكونر ( ١٣ ) للقصة القصيرة . والذي يراها فيه صوتا للانسان المعزول المتوحد الذي ينتمي لجماعة مفعورة ويعاني من مجموعة من عوامل القهر المادي او الروحي او كليهما معا . بل تكاد القصة الفيتنامية ان تنطوي على تصور مضاد كلية لهذا التصور . ان انسانها برغم انتمائه لشعب فقير يحس بالفخر لهذا الانتماء ولا يشعر بالاسف ازاءه كما يفعل ابطال القصص القصيرة مع الجماعات المفعورة التي ينتمون اليها . فقد استطاعت الجماعة المفعورة التي ينتمي اليها الانسان الفيتنامي ان تفرض على العالم احترامها بل والاعجاب بها ، وان تجتري واحدة من اعظم المعجزات في عصرنا وهي هزيمة الفطرسة الامريكية المتضخمة . كما ان هذا البطل لا يستشعر الوحدة او العزلة ولكنه يشعر بنفسه واقفا وسط العالم مشاركا في صياغة قيمه الجديدة ومقولاته الجديدة ، ويملاء هذا الشعور ثقة في نفسه واعتزازا بامكانياته ، على العكس من بطل القصة القصيرة التقليدية التشكك في ذاته قبل اي شيء آخر العاكف على هومومه المجتر لاحزانه . لذلك فان بطل القصة الفيتنامية - وهذه سمة اخرى يناقض فيها ابطال القصة المألوفة - يوجه جل اهتمامه الى العالم الخارجي ، لانه بطل متحقق وليس بطلا محبطا ، وهو لا يتحقق تحقفا اجتماعيا ، لان ذات البطل تندغم في ذات الجماعة وتتوحد هومومه وصبواته بهومومها وصبواتها ، وتصبح افراحه واتراحه جزءا اساسيا من افراحها واتراحها . ومن هنا فان القصة الفيتنامية لا تصبغ صوت الفرد - كبقية افاصيص البلدان الاخرى - ولكنها تعبر عن صوت الجماعة لغياب الحدود الفاصلة بينهما في هذا الواقع المقاتل . وهذا يجعلها من الناحية الفلسفية اقرب الى الرواية التي تتبنى صوت المجتمع وتحاول ان تستوعب صورته ، لكن اقترابها من المنطلق الفلسفي للرواية لا يعني باي حال من الاحوال ترهلها الفني او اقترابها من الروائية على الصعيد البنائي ، فهي من هذه الزاوية قصص محكمة البناء متبلورة الموقف واضحة الشخصيات والاحداث ، وسوف نتأكد لنا كل هذه الحقائق ونحن نتناول بعض هذه الافاصيص .

ولنبدا بقصة نام ها ( تانتي با وابناؤها ) ( ١٤ ) وهي قصة لا تصور

( ١٣ ) راجع كتاب ( الصوت المنفرد ) دراسة في القصة القصيرة .  
( ١٤ ) Tanti Ba and her Children, by Nam Ha, Afro-Asian Writings, Vol 7, Special section on Vietnam, P. P. 179 - 185.

مجموعة من الافلام الساقطة والكتابات الجنسية الهابطة بين الشباب ، ورعاية دور الدعارة واماكن تعاطي المخدرات ، واخيرا من خلال الاستماعة بالاقلام المأجورة التي تزدي بكل قيمة فيتنامية اصيلة ، والتي تحاول ان تقدم تبريرا للاغتصاب الامريكي للبلاد وان تزيين للشباب الغواية واستباحة كل شيء ، وان تضع على لسان شخصيات الاعمال الفنية مجموعة من الكلمات التي تنم عن نوعية القيم التي تروج لها . ومن ابرز الكتاب الذين يمثلون هذا الاتجاه شوتو ، تونسونج ، وغيرهما استمع الى هذه الفقرة من رواية ( الفتنة ) لشوتو « اعتقد انه اذا استطاع الانسان ان يستهونا وبغريتنا . واذا امتلأت الحياة بالبهجة ، فذلك لان الانسان يعرف كيف يمكر ويخدع ويخون . ما اقيح الحياة لو تحول البشر جميعا الى طاعة الاخلاق ، لو انهم تشبهوا بملابن الساعات المضبوطة الدقيقة المنظمة ، كلها تدق في نفس الساعة ، لا تبطء دقيقة او تسرع ، سوف يتكون المجتمع حينئذ من الرجال اصحاب الهدف الثابت . ولكن هذا المجتمع الكامل والتام هو بالدقة المجتمع غير الانساني ، لانه يفترق الى جوهر ذلك الانسان الذي يستطيع ان يحب وان يكره » ( ١٨ ) . ويقول ايضا في نفس الرواية « ان اعظم اهدافنا هو اشواقنا الشخصية » ويقول في رواية ( الحياة ) « الوطن ، العدالة ، العظمة ، الصداقة ، الحب . . ليس ذلك كله الا غشاوة خديعة . . كل ما اعرفه هو المال ) ويقول في روايته ( الحب ) « على المرء ان يطلق نفسه من اسار المقدر التي فطر عليها من يدعون بالوطنين الشرفاء » ( ١٩ ) . كل هذه المتقطعات الدالة من اعمال ( اشهر ) كتاب العصر الامريكي في فيتنام تصور لنا ما تقدمه الكتابات العميلة في مواجهة الادب المقاوم ولكنها لا تفلح في الحلولة دون المواطنين والانخراط في كتاب المقاومة في كل مكان .

في الشوارع والقرى ، ينبثقون من الجداول والانهار جميعا كأنهم الموج الهائج . . ويسحقون العدو ويطاؤون يده القاتلة في سبيل الحصول على الارز كل يوم  
هذه الالحن المدمية في الارض المحررة  
حيث شق النور الظلمات  
انها تنساب متدفقة من كل التلال الحمراء  
وكل الحقول الخضراء المتوجة تحت النسيم  
خفاقة تهتز حيثما يطير علم الثورة  
لقد شبينا في اوار المعركة ، والنصر غير بعيد ( ٢٠ )

هكذا لا تطلع كتابات العملاء الزائفة في الحد من تنامي فيالق المقاومة التي ينبثق افرادها من كل مكان ، ويحررون في كل يوم قطعة من الارض من تحت اقدام المستعمر حتى اوشكوا ان يجبروه على ان يحمل عصاه على كاهله ويرحل ، وان يحققوا نبوءة هوشي منه في وصيته التي تركها قبل رحيله عام ١٩٦٩ وبعد اقل من اربع سنوات على هذا الرحيل . « ان نضال شعبنا ضد المعتدين الامريكيين ومن اجل تخلص الوطن وانقاذه ، سيتوج بالنصر النهائي ، بالرغم من انه سيترب على هذا النضال اجتياز المزيد من المصاعب وتقديم المزيد والكثير من التضحيات » ( ٢١ ) وقد تحقق لهم كل ذلك بفضل عدالة قضيتهم وايمانهم الذي لا يتزعزع بالنصر وعملهم الذي لا يلين من اجل تحقيقه . واخيرا . . وحتى تكتمل لنا ملامح الصورة علينا ان نترث قليلا

( ١٨ ) المرجع السابق ص ٧١ .

( ١٩ ) المرجع السابق ص ٧٠ .

( ٢٠ ) من قصيدة ( اغنية اليقظة ) للشاعر نان هاي ، العدد ٢ و ٣

من مجلة الادب الافريقي الاسيوي ، ١٩٦٨ .

( ٢١ ) راجع وصية هوشي منه ، مجلة ( الاداب ) عدد اكتوبر ١٩٦٩ .

اما قصة نجوين شي تونج ( خطاب من قرية من ) ( ١٦ ) فانها تقدم لنا حياة المقاتل الفيتنامي وهي تنعكس على صفحة حياة الاخرين وتصور لنا من خلال هذه الاصداء الطريقة التي تتخلق بها المعجزة البشرية والبطولية في هذه المنطقة من العالم . . وهي طريقة شديدة البساطة تنهض على بديهية تقول ان هذا الامر ليس مستحيلا ما دام الاخرون قد استطاعوا عمله . . . وهي بديهية ينطوي عليها كل عمل بطولي في فيتنام ، فاذا كان هناك من استطاع ان يسقط طائرة بينديقية او برشاش فان في استطاعتك انت الاخر ان تفعل هذا . . وهكذا تتساقط الطائرات ببساطة مذهلة ، على مد الساحة الفيتنامية . وتظهر مع تساقطها واحدة من الاستجابات العكسية لتصاعد العنف الاستعماري . فتوالي القصف وتنامي طلعات الطائرات لا يث الرعب في النفوس ولكنه يدفعها الى الاجترار على هذه الطائرات المختالة كالتواويس والنيسل منها . ويتحول النجاح في اسقاط الطائرة بسلاح بسيط الى عرس في القرية التي تسقطها تباهي به القرى الاخرى وتحفزها الى الاتيان بمثله عليها تتهي هي الاخرى به على بقية القرى وهكذا . . ومن هنا لا تحقق طلعات الطائرات اليومية التوائية الرعب والتخويف ولكنها تتيح الفرصة امام الفترات للتحقق والباهاة بعمل كبير تكامل به ملامح هذه الاستجابات العكسية التي اشرت اليها قبل قليل .

بقصة نجوين داله توام ( المنتصر ) ( ١٧ ) تكتمل ملامح الصورة التي تصورها الاقاصيص الفيتنامية وتصبح بقية الاقاصيص الاخرى تنوعا على هذه الجزئيات او تكرارا لبعض مراحل هذه العملية الكفاحية التي تبدأ منذ سنوات الصبا الاولى وتتصاعد مع مسيرة الحياة في شمام متشابكة تفضي بعضها الى الشهادة ويفضي بعضها الاخر الى الوقوع في برائن الاعداء والتعرض للسجن والتعذيب ولكنها تقود جميعها الى النصر . وقصة ( المنتصر ) تجسد لنا ملحمة العمود الفيتنامي ، لا كما يتحقق في ساحات القتال ، ولكن كما تنطق به اعلى درجات الصلابة في مواجهة العنف الاستعماري والعميل . انها الصلابة داخل مسكرات التعذيب وفي جزر الاعتقال الوحشية وبين اهنية سجون السلطة العميلة في سايجون . . وفي مواجهة عصابات مراجعة التثقيف التي تحاول جاهدة القيام بعمليات غسيل المخ الوحشية هلا تثنى المناضلين عن التفاني في الدفاع عن بلادهم ، ولكن هيات . وتحكي القصة في اسلوب اقرب الى التقرير التسجيلي طبيعة الحياة في احدى سجون جزيرة الاعتقال حيث السجن مضاعف . لانه سجن ونفي معا . . يحس معه السجن بالفربة وبالحنين الى الوطن وقد امتزج بتوقه الى الحرية . وهذا التقرير التسجيلي تبدو معه روايات كافكا وقصصه الكابوسية مفرطة في المنطقية والسذاجة ، اذا ما قيست بما يحدث كل يوم في جزيرة ( بولو كودنور ) مثلا او غيرها من جزر الاعتقال التي تتصاعد امام ما يحدث فيها مسكرات النازي خزيا وبدائية . ان المستعمر الامريكي يستخدم كل ما هيا له العلم الحديث من امكانيات ليهزم ارواح المساجين العزل دون جدوى . ولكن كل الذي ينجح فيه في يمض الاحيان هو تحقيق التصفية الجسدية لبعض دون التصفية الروحية لروح المقاومة والاستمرار .

ولا يكتفي المستعمر بهذا وحده . . بل يحاول في كثير من الاحيان ان يحول دون روح المقاومة والانتشار بين الفيتناميين من البداية . وذلك بخلق مناخ ذهني وروحي يسيطر عليه التنحل وتشيع فيه الوان من المهر الجنسي وادمان المخدرات والزراية بالقيم والانشغال باللذات الحسية عن كل شيء اخر . . ويث هذا المناخ الفاسد في ارواح المواطنين من خلال تهيئة سبل الانحراف الاخلاقي وتيسيرها لهم ، واشاعة

( ١٦ ) المرجع السابق من ص ١٢٩ - ١٤٦ .

( ١٧ ) المرجع السابق من ص ١٤٧ - ١٧٨ .

حرب لا تقل ضراوة عن الحرب الدائرة في الخارج ..  
 قبل بضعة ايام كنت افكر  
 بالديابات التي رايتها تقتحم شوارعنا القذرة  
 تحت الحكم العسكري  
 كنت افكر بالجياع في بلادنا والمستغلين  
 كنت افكر بمسكرات التعذيب والسجون  
 كنت افكر بوظيفة الجنود ونحيب اليتامى  
 كنت افكر في الازمان الآتية  
 ومطارق الجيل القديم فوق رؤوس الشبان  
 كنت افكر بالجنود المائدين من فيتنام  
 ليروا حربا داخل بلادهم  
 هل سيرفون السبب .. هل سيقتلون ذويهم؟ (٢٤)

هذه اسئلة اخرى تعذب الشاعر الامريكي وهو يشهد التمزقات  
 الداخلية في المجتمع الامريكي ، ويبي وناقصة العلاقة بين هذه التمزقات  
 والحرب الدائرة في فيتنام ويحدث ما سيحدث عندما يعود الامريكيون  
 من فيتنام وقد اتخنتم جراح الهزيمة وشوهمتهم المجازر البربرية  
 التي كانوا يعيشونها كل يوم هناك . واثقلت ضمائرهم المفارقة الحادة  
 بين الاسلوب الذي تعامل به امريكا الفيتناميين والطريقة التي يعامل  
 بها الشعب الفيتنامي الاسرى الامريكيين ، وملأهم شكا ممرورا في كل  
 القيم والمقولات الامريكية المقدسة .. وهذا ما تعكسه قصيدة هذا الجندي  
 الامريكي الذي وقع في الاسر لدى الفيتناميين .

جاء الرجل مملوا بالشك ، لا يعرف ما يدور وراء هذه الحرب  
 عندما تدخل في بلاد شعب آخر وعاش ليرى حريته قد سلبت  
 دهش عندما وجد انه يعامل معاملة حسنة .  
 من قبل الشعب الذي جاء هو ليقتله  
 كشفوا له طريقة النضال ، وكل يوم علموه شيئا جديدا  
 شيئا فشيئا ، بدأ يفهم ان الشعب الذي جاء ليقتله  
 يحاول ان يدافع عن الحريات التي مات اجداده من اجلها منذ قرون  
 فوق تلال امريكا المضرجة بالدماء (٢٥)

ان الجندي الامريكي يعود الى بلاده بعد ان يكتشف انه كان  
 ضحية اكلوبة كبيرة .. وان الشعب الذي ذهب ليقتله انما يكره البطولة  
 التي يتفنى بها الامريكي في المدارس .. بطولة اجداده الذين دافعوا  
 عن حرية امريكا واستقلالها قبل قرنين من الزمان .. لكن الذين لقتوه  
 دروس هذه البطولة قد زيفوا له الشعارات التي ينطلق تحت رايتها  
 ليحارب ضد القيم التي تعلم تقديسها في شبابه .. ومن هنا فانه ما  
 يلبث ان يتمرد على هذه الشعارات ويوجه تمرده الى الشعار الاعظم ..  
 الى العلم الامريكي نفسه يحرقه في المظاهرات والمؤتمرات ويرفض ان  
 يجند تحت لوائه ليحارب عن هذه الاضاليل والدعاوي الزائفة .  
 ويستشعر الجيل القديم خطورة هذا التمرد على الشعارات التي  
 يصكها للشباب فيس قانونا يعاقب كل من يحرق العلم ويتبنى السيد  
 ريفرز حاكم ولاية جنوب كارولينا الدعوة الى معاقبة كل من يحاول حرق  
 العلم .. ويرد الضمير الامريكي على هذه الدعاوي الجديدة بتلصق  
 القصيدة المدهشة ( لمناسبة حرق العلم ) للشاعر الشاب سكيب ستورى  
 والتي تحولت الى اغنية يرددها الجميع .. وخاصة المقطع الذي يصرخ  
 فيه الشاعر ..

يا مستر ريفرز : رجاء اسمع ما اقول

(٢٤) من قصيدة ( راحة متأصلة فيك ) لبيتر بويد ، ترجمة كمال  
 بلاطه ، مجلة ( مواقف ) عدد ١٦ يوليو واغسطس ١٩٧١ .  
 (٢٥) من قصيدة ( الحرية الغالية ) ترجمة كمال بلاطه ، مجلة ( مواقف )  
 عدد ١٦ يوليو واغسطس ١٩٧١ .

عند بعض النماذج التي انجبتها التجربة الفيتنامية على الجانب الاخر من  
 المحيط . وقد ذكرت في بداية هذه الدراسة اننا سنكتفي ببعض نماذج  
 الشعر وحده ، لان انعكاسات الحرب الفيتنامية على الادب الامريكي  
 تحتاج الى دراسة مستقلة . فآثر الحرب الفيتنامية قد تغفل في افوار  
 الضمير الامريكي ، وترك في النفس الامريكية غفدة ذنب ظلت تفعل  
 فعلها كلما طال المدى على الحرب . كما ان الاف الجنود الامريكيين  
 الذين زج بهم في هذه الحرب عادوا منها بالكثير من التشوهات الروحية  
 فضلا عن التشوهات الخلقية . ومن بعض هؤلاء الجنود ظهر عدد  
 من الشعراء الذين عبروا عن هذه التجربة او بالاحرى المحنة المريرة .  
 واستقطبت كتاباتهم الرأي العام الامريكي ودفعت الكثير من الشعراء  
 الذين لم يبارحوا الارض الامريكية ولم يشتركوا في هذه الحرب التي  
 تفتقر الى الانسانية والى الشجاعة الى الوقوف في اشعارهم ضد هذه  
 الحرب .. ربما رغبة منهم لانقاذ امريكا من الهوة التي تردت فيها ،  
 وربما وقوفا منهم مع عدالة القضية التي يدافع عنها الشعب الفيتنامي  
 الباسل وتقديرا لبطولته وصموده . ولكن الامر الذي لا مبراة فيه ،  
 هو ان القضية الفيتنامية لم تكن لتتحظى بهذا الاهتمام الواسع بها ،  
 حتى بين مثقفي العدو ، لو لم يدافع الفيتنامي عن حقه ببسالة ، ولم  
 يفضح امام العالم الاساليب القذرة للمستعمرين ، بصورة شعر معها  
 الامريكيون انفسهم بالخزي مما تفتخره بلادهم فوق ارض هذا الشعب  
 المناضل .. وقد عبر الشاعر الامريكي الفاضل الان جينسبرج عن هذا  
 الاحساس المرير بالعار الامريكي في قصيدته الطويلة ( امريكا ) ، حيث  
 يجسد المفارقة بين ما يمنحه الامريكي لوطنه وما تجيب به امريكا  
 على هذا العطاء .

امريكا ، اعطيتك كل شيء وانا الان لا شيء  
 امريكا ، دولارات وسبعمائة وعشرين سننا ، كانون الثاني ١٩٦٥ ، ١٧  
 لا يمكنني ان افق على ذهني الخاص  
 امريكا .. متى سنهي هذه الحرب الانسانية ؟!  
 اذهبي فضاجعي نفسك بقنبلك الذرية  
 لا اشعر بان حالي حسنة ، لا تزعجيني  
 لن اكتب قصيدتي حتى اكون في حالي الطبيعية  
 امريكا .. متى ستصحين ملائكة ؟  
 متى ستظلمين ثيابك ؟  
 متى سنتظلمين الى نفسك من خلال القبر ؟ (٢٢)

على اسنة هذه الاسئلة المرورة يمرغ الامريكي وجهه وطنه  
 القبيح في الوحل ، يحاكمه وقد امتلا غضبا ازاء هذه السلطة التي  
 ولا تقيم وزنا لوعيه الباكر الذي يستشرف آفاق المستقبل ، ويصر  
 لا تابه بمشاعره وتواصل تلطبخ اصابه بالدم وضميره بالعسار ،  
 الهزيمة الوشكة لشعبه والنصر المقبل على ارض فيتنام ...

آسيا تنهض ضدي  
 ليست امامي فرصة حيني  
 الافضل لي ان اتفحص مصادر ثروتي القومية  
 مصادر ثروتي القومية تنحصر في وكرين للماريجوانا (٢٣)

ويواصل جينسبرج مرثيته التحذيرية لامريكا .. وهي مرثية  
 تفيض بالتهكم المرير والسخرية الهجائية الحادة ، ولكنها تنطوي على  
 حب عميق لامريكا المفقودة .. امريكا الانسانية ، التي حاربت من  
 اجل حريتها ، والتي ملأها حروبها العدوانية بالتمزقات الداخلية  
 والاضرابات وعمليات الارهاب والافتتيال والقمع الوحشي .. بالصورة  
 التي استحال معها الساحة الداخلية هي الاخرى الى ميدان

(٢٢) راجع النص الكامل للقصيدة من ترجمة سركون بولص ، مجلة  
 شعر ، عدد ٤ . خريف عام ١٩٦٨ .  
 (٢٣) المرجع السابق .



بدل اختلال القوانين ضد حرق العلم  
اخلق لنا قانونا يمنع حرق الاطفال في فيتنام  
وحرق الزوج في جنوب كارولينا (٢٦)

وهكذا تستمر الاغبيات والاجراءات المضادة للحرب في التصاعد في امريكا ، في الوقت نفسه الذي تتصاعد فيه الاعمال والاحداث التي تحت على استمرار النضال والقائمة فوق الارض الفيتنامية لتكون كل منهما وجها من وجوه الاخرى وجناحا من اجنحة الادب المقاوم الذي انجبتته التجربة الفيتنامية . واذا كان الادب الفيتنامي يتسم بمجموعة من الخصائص التي حاولنا التعرف على بعض ملامحها خلال عرضنا لبعض نماذجها ، فاننا سنفسح المجال للناقد الامريكى دانييل هوفمان ليحدثنا من خلال تحليله للمجموعة الشعرية ( بذاءات ) للشاعر الامريكى العائد من حرب فيتنام مايكل كيسى ، عن بعض ملامح وخصائص هذا الشعر المناهض للحرب الامريكى البشعة في فيتنام . وفي البداية يؤكد الناقد « ان الشعر المناهض للحرب الفيتنامية ليس بالظاهرة الجديدة في الولايات المتحدة . فقد كانت القصائد التي كتبت حول هذا الموضوع من الكثرة بحيث ان احد الشعراء صرح - في مؤتمر جامعي عن الشعر والضمير القومي - بان الحرب الفيتنامية قد ماتت كموضوع للشعر . . فمنا الذي يسام الخطاب وجمعة الاتهامات ؟ . ان سخطنا الاخلاقي يبدو كذليفة فارغة ، والحرب مستمرة وكأنها الداء العضال » (٢٧) وبعد ان يؤكد هذه الحقيقة بشفيها . تنامي الشعر المكتوب عن الحرب واحساسه بالعجز ازاء استمرار هذه الحرب وقد

(٢٦) من لصيدة ( لمناسبة حرق العلم ) بالمرجع السابق .

(٢٧) راجع الشعر الامريكى وحرب فيتنام ، مجلة ( الموقف الادبي ) السورية العدد الثاني يونيه ١٩٧٢ .

صمت اذاتها عن اي صوت عاقل . . يواصل تحليل المجموعة التي كتبها ٢٢ شاعرا شابا من قدامى الجنود المشتركين في الحرب الفيتنامية بعنوان ( كسب القلوب والعقول ) ومجموعة مايكسل كيسى ( بذاءات ) ويرى ان هذه القصائد تستمد تجاربها من عالم الناس المغتربين الى الشاعرية الذين عاش بينهم مؤلفوها . . ويبدو شعراء هذه القصائد وكأنهم ادركوا بسليقتهم الحقيقة الكامنة وراء عبارة والاس ستيفنسن « امام واقع الحرب العنيفة يتخذ الوعي مكان الخيلة » ومن هنا كان وعي الشاعر في هذا النوع من القصائد فوق مخيلته . وكان في شعره مذاق صادم وعنيف وكأنه يتحدث عن عالم من البدييات التي تعاني من الغربة في واقع لا منطوق له . . واستطاع الشاعر كما يقول هوفمان « ان يصنع اداة حساسة من اللفظة والبذاءة اللتين تسودان لغة الثكنات وحياتة الجيش وان يخلق نوعا من اللشاعر يلائم نوعا من اتحرب خلوا من اي نوع من المجد » (٢٨) .

بهذا التعريف السريع ببعض نماذج وخصائص الشعر الامريكى عن حرب فيتنام ، تكون قد تعرفنا على جناحي الادب المقاوم الذي انجبتته التجربة الفيتنامية . واحب في النهاية ان اؤكد ان ما قننته هنا ليس اكثر من محاولة للتعريف ببعض النماذج التي قرأتها من ادب هذه التجربة الانسانية الكبيرة ، لا تدعي الاحاطة بجوانب هذا الموضوع الكبير ، ولكنها فقط ترحو ان تكون فاتحة لزيد مسن الدراسات والاضاءات النقدية المتخصصة لجوانب هذا الموضوع .

صبري حافظ

القاهرة

(٢٨) راجع الشعر الامريكى وحرب فيتنام ، مجلة ( الموقف الادبي ) السورية العدد الثاني يونيه ١٩٧٢ .

# ماركيز أَوْ فلسفة الطريق المسدود

تأليف محمود أمين العالم

يعتقد المؤلف ، وهو واحد من كبار المثقفين التقدميين العرب ، ان الفكر العربي المعاصر فكر مأزوم لانه يفتقد النظرية العلمية الواضحة والخبرة العملية التنامية . و « في سعينا المأزوم الى الوضوح الفكري ، الى التحرر الوطني والاجتماعي ، الى الوحدة القومية ، كانت تطل علينا بين الان والآخر صيحات تزعم فسي نبراتها العالية نبوة الخلاص . على انها لم تكن تفعل شيئا غير ان تضاعف من محتنتنا ومن ازمتنا . . . برجسون . . سارتر والوجودية . . الوضعية المنطقية والبرجماتية . . . واخيرا تطل علينا الماركيزوية لتقدم نبوءة جديدة للحرية ( . . . ) ولكنها في الحقيقة تسعى لتطمس الوعي الصحيح بحقائق حياتنا ووقائع عصرنا ، وتدفع بفكرنا ونضالنا الى ما أزعم انه طريق مسدود . »

وهكذا يكون هذا الكتاب ادانة كاملة لفكر ماركوز، وهذه الادانة قائمة على دراسة لآثار ماركوز ومواقفه . وكما سبق لدار الآداب ان قدمت بعض آثار ماركوز للقاريء العربي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة تبنيها لهذا الفكر ، فانها تقدم اليوم نقدا لهذا الفكر بقلم مفكر عربي ماركسي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة ايضا انها تقر وجهة نظره ، هذه الوجهة التي هي قابلة حتما للنقاش .

صدر حديثا